

# المُتَلَمَّسُ الضُّبَعِيُّ

## قراءة تاريخية فنية في ديوانه وأخباره



م.م. عَمْرُ مَاجِدِ عَبْدِ الْهَادِي السِّنْوِيِّ  
المديرة العامة لتربية نينوى

### ملخص البحث:

يستقصي هذا البحث ملامح سيرة الشاعر الجاهلي: المُتَلَمَّسُ الضُّبَعِيُّ، متتبِّعاً أصول نَسَبِهِ في أرومة ربيعة بن نزار. وتتجلى أهمية الدراسة في تسليط الضوء على شخصية أدبية اقترن ذكرها بحادثة «الصَّحيفة» التي غدت مثلاً سائراً في التراث العربي، وهي الركيزة السردية في البحث، إذ نُوقِشت رواياتها المختلفة، وفُنِّدت آراء المشكِّكين في صحَّتها من الحداثيين. مع بيان منزلة الشاعر النقديِّ بوصفه رأساً في الطبقة السابعة من «المُقلِّين» الذين عَزَّ نَظْمُهُم وِجَادَ قَوْلُهُم، فاستحقُّوا تقديم الفحول. معتمداً في جميع ذلك المنهج التاريخي، باستعمال أدوات التحليل والاستقصاء للمصادر التراثية الرصينة، مع مراجعة نقدية للدراسات الحديثة. وخُصَّص البحث إلى جملة من الحقائق العلمية، منها: إثبات بناء واقعة الصحيفة على أصول تاريخية ثابتة، جعلت من فطنة الشاعر وحذره ركناً ركيناً في ماثور العرب. ومنها: تأكيد تفرد المُتَلَمَّسِ بجزالة اللَّفْظِ وحُسنِ التدبير في أغراضِ الفخرِ والحكمةِ والهجاء. ومنها: بيان ضرورة فرز الصحيح من المنسوبِ والمَنحولِ في ديوانِ الشاعر؛ صوناً لتراثه من خلطِ الرُّوَاةِ.

الكلمات المفتاحية: المُتَلَمَّسُ الضُّبَعِيُّ، صحيفة المُتَلَمَّسِ، العصر الجاهلي، شعراء الجاهلية، الهجاء، الحكمة، الفخر، الطبقة السابعة.

## المقدمة:

يُعَدُّ الشَّعْرُ الجَاهِلِيُّ من أَصْدَقِ المَرَايَا التي انعكست فيها حياةُ العربيِّ قبلَ الإسلام، بما انطوت عليه من قيمٍ اجتماعية، وأنساقٍ فكرية، وتجاربٍ إنسانية صاغها الشاعر في لفظٍ مكينٍ وصورةٍ ناطقة. وليس النظر في هذا التراث مقصوراً على استظهار نصوصه، بل يتجاوز ذلك إلى استنطاق سياقاته التاريخية، وتمحيص رواياته، والنفوذ إلى الدلالات الثقافية التي شكَّلت وعي الإنسان العربي في تلك المرحلة المبكرة من تاريخه.

وفي هذا الإطار، تبرز شخصيةُ الشاعر الجاهلي المُتَلَمَّسِ الضُّبَعِيِّ بوصفها واحدةً من الشخصيات التي اقترن ذكرها بالشَّعْرُ والخبر معاً، حتى غلب الخبرُ على الشعر، وصارت حادثةُ «صحيفة المُتَلَمَّسِ» عَلَمًا عليه، ومَثَلًا سائرًا في الحذر والِفطنة عند العرب. وقد أسهم هذا التلازم بين النصِّ الشعريِّ والرواية التاريخية في تشكيل صورةٍ مركبةٍ للشاعر، تستدعي قراءةً علميةً متأنية، تُوازِن بين ما ثبت من الأخبار، وما صحَّ من الشعر، وما لحق بهما من رواياتٍ مشوبةٍ بالاضطراب أو النحل.

وإذ كان المُتَلَمَّسُ من الشُّعراء المقلِّين قياساً بفحول طبقته، فإنَّ قلةَ شعره لم تحجب منزلته النقدية، ولا مكانته في مدونة الأدب العربي؛ فقد أجمع أئمةُ الرواية والنقد على جزالة لفظه، ومتانة سبكه، ونفاد حكمته، حتى عدَّه بعضهم رأسَ المقلِّين وأشعرهم. غير أنَّ هذه المنزلة لم تَسَلِّمْ من تشكيكٍ حديثٍ تجاوز نقد الروايات إلى الطعن في أصل الشخصية التاريخية ونسبة الشعر إليها، وهو ما يقتضي إعادة النظر في تلك الآراء.

ومن هنا، ينهض هذا البحث ليتناول سيرة المُتَلَمَّسِ الضُّبَعِيِّ وشعره تناولاً تاريخياً فنياً، يستقصى أخباره في مظانها، ويفحص روايات حادثة الصحيفة فحصاً تحليلياً، ويميز بين ما ثبت وما اضطرب من منسوب شعره، مع بيان مكانته بين شعراء الجاهلية، وأثره في تشكُّل المثل العربي والخطاب الأخلاقي والقبلي. فجاء البحث في ثلاثة محاورٍ تحتها عدَّة مطالب:

### المحور الأول: السيرة الذاتية والصفات الشخصية. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاسم والنسب والقبيلة.

المطلب الثاني: الميلاد والنشأة والحياة.

المطلب الثالث: الإطار الزمني والأحداث المحيطة.

المطلب الرابع: الصفات الشخصية والطباع النفسية.

### المحور الثاني: حادثة الصحيفة الشهيرة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: روايات الحادثة بين التسليم والتشكيك.

المطلب الثاني: نصوص روايات الحادثة.

المطلب الثالث: خلاصة الحادثة وأثرها في شهرة المُتَلَمَّسِ.

### المحور الثالث: شعر المُتَلَمَّسِ ومكانته. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكانته بين الشعراء وما قاله فيه النقاد.

المطلب الثاني: ديوانه وما عيبَ من شعره وما نُسب إليه.



## المحور الأول: السيرة الذاتية التاريخية

### المطلب الأول: الاسم والنسب والقبيلة

تُجمَع كتب الطبقات والأدب على أنّ الشاعر هو المُتَلَمَّس الضُّبَعِيُّ، أما اسمه ونسبه فهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد بن دَوْفَن بن حرب بن وهب بن جُلِّي بن أَحْمَس بن ضُبَيْعَة بن رَبِيعَة بن نِزار بن مَعَدِّ بن عدنان<sup>(١)</sup>. ودوفن بفتح الدال وسكون الواو وفتح الفاء بعدها نون. وجلى بضم الجيم وتشديد اللام بعدها ألف مقصورة<sup>(٢)</sup>. وأحمس أفعل من الحماسة. وضُبَيْعَة بالتصغير<sup>(٣)</sup>. وكان المُتَلَمَّس يفخر بأجداده ونسبه، فقد قال في بعض شعره<sup>(٤)</sup>:

يَكُونُ نَدِيرٌ مِنْ وَرَائِي جُنَّةٌ ... وَيَمْنَعُنِي مِنْهُمْ

### جُلِّيٌّ وَأَحْمَسٌ

ونَدِير هو ابن بُهْتَة -أخي دَوْفَن-<sup>(٥)</sup>. وقال أيضًا<sup>(٦)</sup>:

أَرَى عَصَمًا مِنْ نَصْرِ بُهْتَةَ دَانِيًا

وَيَدْفَعُنِي عَنْ آلِ زَيْدٍ فَبَيْسَمًا

وذكر ابن حبيب (ت. ٢٤٥هـ) أنّ أمّ المُتَلَمَّس كانت حبشيّة يُقال لها: سُحْمَة<sup>(٧)</sup>. وهذا يخالف ما ذُكِر في المصادر أنّ أحواله من بني يَشْكِر بن بكر بن وائل، من قبائل ربيعة -أيضًا-<sup>(٨)</sup>. وهذا ما يؤكده هو في معاتبته أحد أحواله وهو الحارث بن التوأم اليشكريّ، إذ قال<sup>(٩)</sup>:

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تَسَاطُ دِمَاؤُنَا

تَزَايَلَنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمًا

فَلَوْ غَيْرُ أَخَوَائِي أَرَادُوا نَقِصَتِي

جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مَيْسَمًا

واختلف في اسم المُتَلَمَّس بعض الاختلاف، قال البغداديّ (ت. ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م): «والمُتَلَمَّس اسمه جرير، وكنيته أبو عبد الله، بن عبد المسيح... وقيل: إنه جرير بن عبد العزّي<sup>(١٠)</sup>، وقيل غير هذا»<sup>(١١)</sup>. يرى بعض المؤرخين أنه ربما كان في أول أمره وثنيًا، ثم تنصّر، فيجوز أن يكون تغير

(١) هشام بن محمد بن السائب الكلبي، **جمهرة النسب**، تحقيق علي عمر، ج ١ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٠)، ص ٤٦٢؛ محمد بن سلام الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، ج ١ (جدة: دار المدني، ١٩٨٠)، ص ١٥٦؛ أبو الفرج الأصفهاني، **الأغانى**، شرحه وكتب حواشيه علي مهنا وسمير جابر، ط ٢، ج ٢٤ (بيروت: دار الفكر، [د.ت.]) ص ٢١٦؛ أبو عبيد البكري، **اللائي في شرح أمالي القاضي**، تحقيق عبد العزيز الميمني، ج ١ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦)، ص ٢٥٠؛ كمال الدين ابن الفوطي الشيباني، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق محمد الكاظم، ج ٤ (إيران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٥)، ص ٣٤٣؛ علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تحقيق نصرت عبد الرحمن (عمّان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢)، ص ٦٥٨؛ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ج ٧٢ (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥)، ص ٨٣.

(٢) كذا في: عبد القادر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ٤، ج ٦ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧)، ص ٣٤٥. وهو يخالف ما ذكره المُتَلَمَّس في البيت الآتي ذكره.

(٣) البغدادي، ص ٣٤٥.

(٤) **ديوان شعر المُتَلَمَّس الضُّبَعِيِّ**، رواية أبي الحسن الأثرم، تحقيق حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٧٠)، ص ١٢٩.

(٥) الأصفهاني، ص ٢٢٢.

(٦) **ديوان شعر المُتَلَمَّس**، ص ٣٩.

(٧) أبو جعفر محمد بن حبيب، **المحبر**، رواية أبي سعيد السكري عنه، اعتنت بتصحيحه إيلزه ليختن شتيتير (حيدر آباد / الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٢) ص ٣٠٨.

(٨) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ج ١ (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢)، ص ١٧٩؛ الأصفهاني، ص ٢١٩.

(٩) الأصفهاني، ص ٢١٨.

(١٠) ابن قتيبة، **الشعر والشعراء**، ص ١٧٩.

(١١) البغدادي، ص ٣٤٥.

اسمه لذلك<sup>(١٢)</sup>. وهذا مثل اختلافهم في اسم جدّه أيضاً، فقد قال ابن الدوادري (ت. بعد ٧٣٦هـ): «هو جرير بن عبد الله، وقيل: عبد اللات»<sup>(١٣)</sup>. وقال أبو عبيدة (ت. ٢٠٩هـ) والأصمعي (ت. ٢١٦هـ): «اسمه جرير بن زيد الضُّبَعِيُّ»<sup>(١٤)</sup> وهذا صوابٌ بالنظر إلى نسبته إلى جد أبيه. وقال ابن الأتباري (ت. ٣٢٨هـ): «هو عبد المسيح بن جرير»<sup>(١٥)</sup>.

قيس بن ثعلبة، وضُبَيْعَة بن عجل بن لجيم<sup>(١٨)</sup>. وقد كان العزّ والشرف والرئاسة على ربيعة في ضُبَيْعَة أضجم، وكان سيدها حارث الخير، وهو عمّ الشاعر المتكلمس أخو أبيه، وبه سُمّوا: ضُبَيْعَة أضجم، لأنّ حارث الخير أصابته لِقْوَة [شَلَلٌ في عضلات الوجه يُسبب اعوجاج الشدق] فصار أضجم، ولُقّب بذلك، ولُقِّبَتْ به قبيلته<sup>(١٩)</sup>. وكانت ديارهم في الجاهلية بالعراق<sup>(٢٠)</sup>.

### [مشجر نسب المتكلمس وبيان من ذكر

منهم في شعره<sup>(٢١)</sup>]

#### المطلب الثاني: الميلاد والنشأة والحياة

لا تُسَعَفُ المصادرُ بتاريخ ميلاده الصريح، لكنّ قرائنَ مُعاصره طَرْفَة بن العبد وغيره، ووقائع الحيرة مع اللّخميّين، تدفعُ إلى جعله من أواخر طبقة الجاهليّين المتأخّرين في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي<sup>(٢٢)</sup>.

وتُظهِرُ رواياتُ الأدب والتاريخ أنّ انتساب المتكلمس إلى بني ضُبَيْعَة يَصِلُهُ ببيئَة العراق، وتذكر بعض الأخبار أنه نشأ عند أخواله بني يشكر، وهذا يصله ببيئَة البحرّين واليمامة<sup>(٢٣)</sup>؛ فهذه الصلّات تربطه بما بين نجد والبادية الشماليّة ومواطن الحيرة حيث بلاطُ ملوكِ لَحْم؛ وهي بيئَة تمزجُ حياة

والمُتَكَلِّمَسُ لِقْبُ غَلَبَ عليه، وقد اختلف في سببه؛ فأحيل في بعض الأخبار إلى فطنته، والتلمس: هو البحث عن الشيء وتطلبه وتحسُّسه، وهو من ألقاب الجاهليّين الدالّة على السيماء الشخصية لا على النسب<sup>(١٦)</sup>. وأشهر الأقوال في سبب تلقيبه بذلك قوله<sup>(١٧)</sup>:

وَذَاكَ أَوَّانُ الْعَرِضِ حَيَّ ذَبَابُهُ

رَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَكَلِّمَسُ

أما عشيرته، فهم بنو ضُبَيْعَة بن ربيعة، ويُطَلَقُ عليهم: ضُبَيْعَة أجدم. قال ابن حبيب: ضُبَيْعَات العرب ثلاث، كلّها من ربيعة: ضُبَيْعَة بن ربيعة - وهم هؤلاء ويقال ضُبَيْعَة أضجم -، وضُبَيْعَة بن

(١٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١٨ (عمّان: دار السّاقى، ٢٠٠١)، ص ٢٢٩.

(١٣) أبو بكر بن أبيك الدوادري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، تحقيق إدوارد بدين (القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٩٤)، ص ٤٨٦.

(١٤) محمد بن الحسن بن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج ٧ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨)، ص ٣٩١.

(١٥) أبو بكر محمد بن القاسم الأتباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٥ (القاهرة: دار المعارف، [د.ت.])، ص ١٢٣.

(١٦) مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج ١٦ (الكويت: وزارة الإرشاد والأبناء، ١٩٦٥)، ص ٤٨٧.

(١٧) عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، ص ٢٩٨؛ ديوان شعر المتكلمس، ص ١٢٢.

(١٨) الأصفهاني، ص ٢١٦.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢١) عبد الرحمن بن ناصر السعيد، قصيدة المتكلمس الضُّبَعِيُّ تعيرني أمي رجال ولن ترى: قراءة في الإشكالات وترجيح الروايات، مجلة عالم الكتب، مج ٣٣، ع ٣-٤، (الرياض: ٢٠١٢).

(٢٢) يُستفاد هذا من سياق الأخبار في: الأصفهاني، ص ٢١٦-٢٥٧.

(٢٣) المصدر السابق، ص ٢١٩، ٢٣٣.

الْوَبْرِ بحياة الحَضَر، وتُكْتَفَى الاحتكاكُ السياسيَّ والاقتصاديَّ بالشام والعراق<sup>(٢٤)</sup>. وفي ذلك يقول<sup>(٢٥)</sup>:

أَلْكِنِي إِلَى قَوْمِي ضَبِيعَةَ أَنْتَهُمُ

أُنَاسِي، فَلَوْمُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ دَعُوا

وَقَدْ كَانَ أَحْوَالِي كَرِيمًا جِوَارُهُمُ

وَلَكِنَّ أَصَلَ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُنَزَعُ

ونصت الروايات على أنه استقر في بلاد الشام

بعد هروبه من ملك الحيرة عقب حادثة الصحيفة، وأنه اتصل بالغساسنة ملوك الشام، وأنه توفي ببصرى الشام<sup>(٢٦)</sup>. ومما يدل على كل ذلك قوله<sup>(٢٧)</sup>:

أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ

وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السُّوسُ

لَمْ تَدْرِ بُبُصْرَى بِمَا أَلَيْتُ مِنْ قَسَمٍ

وَلَا دِمَشْقُ إِذَا دَيْسَ الْكَدَّادِيسُ

وقال أيضًا<sup>(٢٨)</sup>:

إِنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ كَانُوا الْهَوَى

فَإِذَا نَأَى بِي وَدُهُمْ فَلْيَبْعُدِ

### المطلب الثالث: الإطار الزمني والأحداث

#### المحيطة

تُصَنَّفُ مصادر الطبقات المتلمس في شعراء الجاهلية، وتُورِدُ أخبارَه قبل البعثة النبوية، ولا نص في الأصول المعتمدة يدل على إدراكه البعثة

(٢٤) تُنظَرُ أخبار الحيرة وملوكها على سبيل المثال في: علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق أسعد داغر، ج ٢ (قم/ إيران: دار الهجرة، ١٩٨٩) ص ٦٥-٨١.

(٢٥) ديوان شعر المتلمس، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢٦) الأصفهاني، ص ٢٣٣.

(٢٧) ديوان شعر المتلمس، ص ٩٥-٩٧.

(٢٨) المصدر السابق، ص ١٣٥.

النبوية. بل في بعض المصادر تنصيص على عدم إدراكه الإسلام، فقد قال الأصمعي: «المتلمس جاهلي لم يدرك الإسلام»<sup>(٢٩)</sup>. ولكن من أهم الإشارات إلى عصر المتلمس ما ذكره بعض المصادر أنه «كان له ابن يُقال له: عبد المذان [أو عبد المنان]، أدرك الإسلام، وكان شاعرًا، وهلك ببصرى، ولا عقب له»<sup>(٣٠)</sup>.

وينص بعض المصادر على أنه كان من معاصري امرئ القيس بن حجر الكندي، وعمرو بن قميئة، وطرفة بن العبد<sup>(٣١)</sup>. أما معاصرتَه لطرفة بن العبد، فهو أمر مشهور، لأن المتلمس هو خال طرفة، وتجمعهما أخبار الرحلة إلى الحيرة وملوكها<sup>(٣٢)</sup>، وهو ما يضع المتلمس ضمن طبقة الجاهليين المتأخرين قبيل البعثة النبوية.

ومما يقرب النظر في حدود عصر المتلمس: علاقته ببلاط اللخمين ملوك الحيرة، ولا سيما عمرو بن المنذر وأخيه قابوس، وفي هذا السياق ترد قصة «الصحيفة» التي ارتبطت باسمه وباسم طرفة؛ وقد اختلفت الروايات هل كان ذلك في أيام عمرو بن المنذر - وهو عمرو بن هند-، أم في زمن ابن أخيه: النعمان بن المنذر؟<sup>(٣٣)</sup> مع اتفاق الروايات

(٢٩) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق عبد الله الجبوري، ج ٢ (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٧) ص ٦٣٥.

(٣٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٨٠. ويُنظر: علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥) ص ٨٦.

(٣١) ابن سلام، ص ١٥٦.

(٣٢) يُنظر مثلاً: الأصفهاني، ص ٢٣١-٢٣٢؛ ابن الأثير، ص ١١٥.

(٣٣) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، ج ١ (بيروت: دار الفكر/ دار الجيل، ١٩٨٨)، ص ٥٨٢؛ الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، أمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،

على أصل الحادثة وأنها سبب فراقه الحيرة ولجؤه إلى بلاط غسان، وسيأتي تفصيل القصة وتمييز رواياتها لاحقاً.

## المطلب الرابع: الصفات الشخصية والطباع النفسية

اشتهر المتلمس بلقبه هذا الدال على الفطنة والحدَر، وقد حمله بعض الروايات على معنى التطلب والتحسس قبل الإقدام؛ إذ نُسبت فطنته إلى حادثة «الصحيفة»، حين تثبتت في كتاب حمّله من بلاط ملك الحيرة، فاستشعر الريبة فيه، ففتّحه أو تلمس أمره، فلما وقف على ما فيه احتاط لنفسه ونجا<sup>(٣٤)</sup>.

ومن صفاته التي تجلّت في شعره: حدة اللسان ومضاء الهجاء وجراءة القول، فالروايات الأدبية تلح على كونه مفتاحاً للهجاء، سريعاً في الجواب، جريء القول، نافذ العبارة، كما يظهر من الشواهد المحفوظة من شعره<sup>(٣٥)</sup>. وهي سمة ملازمة لشعراء الهجاء من طبقته.

وورد في بعض الروايات أنّ المتلمس هو أول من حثّ على البخل! فقد قال المرزباني (ت. ٣٨٤هـ)<sup>(٣٦)</sup>: أخبرنا ابن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم، قال: حدثني الأصمعي، قال: قال أبو عمرو الشيباني: «المتلمس أول من حثّ على البخل». ولعله يقصد

بذلك قول المتلمس<sup>(٣٧)</sup>:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ حَقِّ غَيْرِ ظَنِّ

وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ

لِحِفْظِ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهُ

وَسَيْرٍ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ

وَإِصْلَاحِ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ

وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

ففي بعض الروايات أنّ حاتماً الطائي بلغه قول المتلمس هذا، فقال: «ما له -قطع الله لسانه- حمل الناس على البخل»<sup>(٣٨)</sup>. بينما جاءت روايات أخرى على النقيض من ذلك، فهذا الأصمعي ينص على أنّ قوله هذا هو «أحسن ما قيل في حفظ المال»<sup>(٣٩)</sup> يعني في التدبير وعدم التبذير. بل يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. ١٧٠هـ) أنّه «أحسن ما قاله المتلمس»<sup>(٤٠)</sup> على الإطلاق.

## المحور الثاني: حادثة الصحيفة الشهيرة

### المطلب الأول: روايات الحادثة بين التسليم

#### والتشكيك

تنوّعت ألفاظ الروايات التي روت حادثة «صحيفة المتلمس» واختلفت في بعض تفاصيلها، ولكن المقدار المجمع عليه عند السابقين هو التسليم بوقوعها إجمالاً، ولم يُعرف عن أحد

(٣٧) ديوان شعر المتلمس، ص ١٦٣.

(٣٨) المعافي بن زكريا بن طرار، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ص ٧٠-٧١.

(٣٩) أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق مشهور حسن سلمان، ج ٥ (البحرين: جمعية التربية الإسلامية؛ بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٨)، ص ٢٩٤.

(٤٠) ابن عساكر، ص ٨٥.

١ج (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤)، ص ١٨٥.

(٣٤) ديوان شعر المتلمس، ص ١٧٥.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٤٢.

(٣٦) محمد بن عمران المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ص ٩٤.



الراوي: ففي ذلك يقول المُتَلَمَّسُ<sup>(٥٢)</sup>:  
 مَن مَبْلُغُ الشُّعْرَاءِ عَنِّ أَحْوَيْهِمْ  
 نَبَأٌ فَتَصَدَّقُهُمْ بِذَاكَ الْأَنْفُسِ  
 أَوْ دَى الَّذِي عَلَقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا  
 وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ الْمُتَلَمَّسِ

وفي روايات أخرى: أن عمرو بن المنذر كان يرشح أخاه قابوس بن المنذر للملك بعده، فقدم عليه المُتَلَمَّسُ وطرفة، فجعلهما في صحابة قابوس، وكانا يركبان معه للصيد، فيركضان طول النهار فيتعبان، وكان يشرب من الغد فيقفان على بابه في الغبار، فضجر طرفة فهجاه وهجا أخاه... فبلغ الملك ذلك، فمكث غير كثير ثم دعا بالمُتَلَمَّسِ وطرفة، وخاف إن قتلَ طرفة أن يهجوهُ المُتَلَمَّسُ لأنهما كانا خليلين، فقال: لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما وسركما أن تنصرفا. قالوا: نعم. فكتب لهما إلى عامله على هجر أن يقتلهما. وأخبرهما أنه كتب لهما بحباء ومعروف. وأعطى كل واحد منهما شيئاً فخرجا. وكان المُتَلَمَّسُ قد أسنَّ. فمرا بنهر الحيرة على غلمان يلعبون. فقال المُتَلَمَّسُ: هل لك في أن تنظر في كتابينا فإن كان فيهما خير مضيئنا له وإن كان شرّاً ألقيناها؟ فأبى عليه طرفة. فأعطى المُتَلَمَّسُ كتابه بعض الغلمان فقرأه عليه، فإذا فيه السوءة فألقى كتابه في الماء. وقال لطرفة: أطعني وألق كتابك، فأبى طرفة، ومضى بكتابه إلى العامل فقتله. ومضى المُتَلَمَّسُ حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام<sup>(٥٣)</sup>.

(٥٢) ديوان شعر المُتَلَمَّسِ، ص ١٧٥.

(٥٣) الفضل بن سلمة، الفاخر، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠) ص ٧٣؛ أبو هلال العسكري، ص ٥٨٠؛ أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١

عمرو بن المنذر، وعلى ذلك أكثر الروايات، وأخرى تجعل الواقعة في أيام ابن أخيه النعمان بن المنذر الذي تولى الأمر من بعده، واحتجواً لذلك ببعض شعر طرفة الذي يذكر فيه أبا المنذر وهو النعمان، وهذا ترجيح الشريف المرتضى<sup>(٥٠)</sup>.

لقد كان كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت. ٣٥٦هـ) من المصادر التي ساقته بعض الروايات على اختلافها، فمنها المروية على لسان المُتَلَمَّسِ نفسه، إذ قال: «قدمتُ أنا وطرفة بن العبد على عمرو بن هند، وكان غلاماً معجباً تائهاً يتخلج في مشيته بين يديه، فنظر إليه نظرة كادت تقتلعه من الأرض... فقلت لطرفة: إنني لأخاف عليك من نظرته إليك هذه، مع ما قلت. قال: كلا. فكتب لنا كتاباً إلى المكعب، كتب ولم نره، وختم ولم نره، لي كتاب، وله كتاب، وكان المكعب عامله على عمان والبحرين، فخرجنا حتى إذا هبطنا بذي الرقاب من النجف، إذا أنا بشيخ على يساري يتبرز ومعه كسرة يأكلها وهو يقصع القمل، فقلت: تالله ما رأيت شيخاً أحمق وأضعف وأقلّ عقلاً منك. قال: وما تنكر؟ قلت: تتبرز وتأكل وتقصع القمل! قال: أدخل طيباً وأخرج خبيثاً وأقتل عدواً، وأحمق مني الذي يحمل حنقه بيمينه لا يدرى ما فيه. فنّبهنّي، وكأنما كنت نائماً، فإذا غلام من أهل الحيرة، فقلت: يا غلام تقرأ؟ قال: نعم. قلت: اقرأه. فإذا فيه: من عمرو بن هند إلى المكعب، إذا جاءك كتابي هذا مع المُتَلَمَّسِ، فاقطع يديه ورجليه، وادفنه حياً. فألقيت الصحيفة في النهر، وقلت: يا طرفة معك مثلها. قال: كلا، ما كان ليفعل ذلك في عقر داري. فأتى المكعب، فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً»<sup>(٥١)</sup>. قال

(٥٠) الشريف المرتضى، ص ١٨٥.

(٥١) الأصفهاني، ص ٢٣١-٢٣٢.

وفي نصوص أخرى: أنه لما سمع الملك ما هجاه به طرفة بن العبد، وقع في قلبه، ولكنه كره العجلة عليه لكان قومه، فكتب إلى عامله؛ وكان المتلمس رجلاً مسنناً مجرباً، وكان المتلمس أيضاً قد هجا عمراً، فأقبل المتلمس وطرفة على عمرو يتعرّضان لمعرفه؛ فكتب لهما إلى عامل البحرين وهجر، وقال: انطلقا إليه، فاقتضيا جوائزكما، فلما خرجا من عنده قال المتلمس: يا طرفة إنك غلام حديث السن، ولست تعرف ما أعرف، وكلانا قد هجاه، ولست آمن أن يكتب بما نكره، فتعال ننظر في كتبه، فقال طرفة: لم يكن ليقدم علي بمثل هذا، وعدل المتلمس إلى غلام عبادي من أهل الحيرة، فقال: اقرأ ما في هذه الصحيفة، فإذا فيها السوء، فألقاها في النهر، وتبع طرفة يريد أن يردّه، فلم يدركه. وقدم طرفة على عامل البحرين، وهو ربيعة بن الحارث، فلما قدم طرفة على عامل البحرين دفع إليه كتاب عمرو بن هند، فقرأه فقال: هل تعلم ما أمرت به؟ قال: نعم! أمرت أن تجيزني وتحسن إلي. فقال: يا طرفة! ببني وبينك خوولة أنا لها راع حافظ، فاهرب في ليلتك هذه، فإنني قد أمرت بقتلك، فاخرج قبل أن تصبح ويعلم بك الناس. فقال طرفة: اشتدت عليك جائزتي، فأردت أن أهرب وأجعل لعمرو بن هند علي سبيلاً! كلاً والله لا أفعل ذلك أبداً! فلما أصبح أمر بحبسه، وجاءت بنو بكر، فقالوا: ما أقدم طرفة؟ فقرأ عليهم كتاب الملك ثم حبس طرفة ولم يقتله، وكتب إلى عمرو بن هند: أن ابعث إلي عمك من تريد، فإنني غير قاتله؛ فبعث عمرو بن هند رجلاً من تغلب، فاستعمله على البحرين، فقتل طرفة، وقتل ربيعة بن الحارث، وقدمهما وقرأ عليهما عهده، فلبث أياماً، واجتمعت بكر بن وائل

فهتمت بالتغلبى... أما المتلمس فقد مضى هاربا إلى الشام، فكتب فيه عمرو بن هند إلى عماله بنواحي الريف، يأمرهم أن يأخذوا المتلمس إن قدروا عليه يمتار طعاماً، أو يدخل الريف، فبلغ ذلك المتلمس فاستغنى عن ميرة العراق بميرة الشام<sup>(٥٤)</sup>.

### المطلب الثالث: خلاصة الحادثة وأثرها في شهرة المتلمس

مما سبق يمكن استخلاص ما يلي:

١. في الروايات يردُّ سبب غضب الملك من المتلمس وطرفة، فمنها ما يجعل السبب هو هجاؤهما إياه، ومنها ما يجعل الهجاء صادراً عن طرفة فحسب، ولكن الملك خشي من هجاء المتلمس إن هو قتل طرفة، وهذا يؤيده ما قاله المتلمس<sup>(٥٥)</sup>:

أَطَرَدْتَنِي حَذَرَ الْهَجَاءِ وَلَا

وَاللَّاتِ وَالْأَنْصَابِ لَا تَتَلُّ

٢. بعض الروايات تذكر قابوساً في سياقها، وبعضها تهمل ذكره، وتجعل الأمر بين الملك وبين الشعارين.

٣. بعض الروايات تنص على أن الملك أرسلهما إلى عامله على البحرين، وبعضها تذكر عامله على هجر، ويبدو أن عاملهما واحد كما في النص الأخير.

٤. بعض الروايات تسمي العامل المكعب، وبعضها تسميه ربيعة بن الحارث ولكنها تؤكد أن الأخير رفض قتل طرفة، وطلب من

(٥٤) أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، تحقيق على محمد البجادي (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٨١)، ص ٩٠.

(٥٥) ديوان شعر المتلمس، ص ٤٢.

(بيروت: دار المعرفة، [د.ت.])، ص ٣٩٩.

الملك أن يبعث من ينفذ أمره، فبعث عاملاً آخر يحل مكانه من بني تغلب.

٥. في بعض الروايات أنّ المتلمّس تبع طرفة عندما علم بفحوى الرسالة ليحذّره ولكنه لم يدركه، ولكن أغلب الروايات تنص على أنّه أدركه وحذّره، وفي شعر المتلمّس ما يؤيد هذا، وقد سبق إيراده في سياق رواية الأصفهاني الأولى. لكن مع ما كان من اختلاف في تحديد اسم الملك، وتفصيل السبب، وتعيين الجهة، وتفصيل العاقبة؛ فإنّ ذلك لا يقدح في ثبات البنية التاريخية للواقعة في أصولها: صحيفة مهلكة، فطنة من المتلمّس، هلاك طرفة، واشتهار المثل.

يقال: «أشأم من صحيفة المتلمّس»، وهو تثبيت لغويّ للواقعة في ذاكرة العرب، فصارت الحادثة قرينة على الفطنة والحذر في ترجمة الشاعر المتلمّس، وشاهدًا على حدة لسانه ومضاه رأيه. وغلبت ثنائية الاسمين في كتب الأدب، فذكر المتلمّس وطرفة قرنين في باب الأخبار، مع أنّ ديوان المتلمّس قليل، حتى صنّف المتلمّس في الشعراء المقلّين؛ فكان الخبر والمثل أظهر من الشعر في صون الذكر.

### المحور الثالث: شعر المتلمّس ومكانته

#### المطلب الأوّل: مكانته بين الشعراء وما

#### قاله فيه النقاد

يُصنّف المتلمّس بين «المقلّين» من الشعراء، لذلك أورده محمّد بن سلام الجمحيّ (ت. ٢٣١هـ) فيما عمله من طبقات فحول الشعراء، في «الطبقة السابعة» مع أمثاله من الشعراء المقلّين في الجاهلية، وهو تصنيف يدلّ على قلة الحافظة الشعرية نسبيًّا مقابل فحول أكثر إنتاجًا. وهذا الحكم الطبقي

لا يلغي جودة ما وصل من شعره، لكنه يؤسّس معيارًا نقديًّا قديمًا لقياس حضور الشاعر في المخزون الشعري الروائي. وتأكيدًا لذلك وصفهم الجمحي بقوله: «مُحكّمون مفلقون، وفي أشعارهم قلة، فذاك الذي أخّهم»<sup>(٥٦)</sup>.

وقال أبو عبيدة: «اتفقوا على أن أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة: المسيب بن علس، والحسين بن حمام، والمتلمّس. واتفقوا على أن المتلمّس أشعرهم»<sup>(٥٧)</sup>. وقال الأصمعي: «المتلمّس رأس فحول ربيعة»<sup>(٥٨)</sup>.

وقال أبو عمرو بن العلاء (ت. ١٥٤هـ) عن قصيدة المتلمّس الميمية المشهورة: «كانت العرب إذا أرادت أن تنشد قصيدة المتلمّس توضّؤوا لها»<sup>(٥٩)</sup>.

وعن قصيدته الميمية -أيضًا- يقول أبو علي الحاتمي (ت. ٣٨٨هـ): «أشردُ مثل قيل في الفخر بالأمّهات قوله:

يُعيرني أمّي رجالٌ ولن تَرَى

أخا كَرَمٍ إلا بأنّ يتكرّمًا

وهل لي أمٌ غيرُها إنّ تركتها

أبى الله إلا أن أكون لها ابنمًا

وقال: وأشردُ مثل قيل في اعتداد بني العمّ والكفّ

عن مقابلتهم بفعلهم قوله:

وما كُنْتُ إلا مثل قاطع كفه

بكفّ له أخزى فأصبح أجدمًا

(٥٦) ابن سلام، ص ١٥٥.

(٥٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٨٠.

(٥٨) عبد الملك بن قريب الأصمعي، فحولة الشعراء، تحقيق محمد عبد المنعم وطه الزيني (القاهرة: المطبعة المنيرية، ١٩٥٣)، ص ٣٠.

(٥٩) أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤)، ص ٣٩.

يداه أصابت هذه حَتَفَ هذه

فلم تَجِدِ الأُخْرَى عليها تَقْدُماً

فلما اسْتَقَاد الكَفَ بالكَفِّ لم يَجِدْ

له دَرَكًا في أن تَبِينَا فَأَحْجَمَا

فأطرق إطراقَ الشُّجاع ولو يَرَى

مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجاعُ لَصَمَمَا

وقال أبو عبيدة: فيها من الأمثال السائرة ما

يُضْرِبُ مثلاً للحكيم يذكر به عند نسيانه:

لذي الحِلْمِ قَبْلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العِصَا

وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا لِيَعْلَمَا

وقال: وفيها من شارِدِ الأمثال:

إذا لم يَزَلْ حَبْلُ القَرِينَيْنِ يَلْتَوِي ... فلا بُدَّ يوماً

من قُوَى أن تَجْدَمَا

وقال: لم أسمع لأحد بمثل هذه الأبيات حكمةً

وأمثالاً من أولها إلى آخرها»<sup>(٦٠)</sup>.

المطلب الثاني: ديوانه وما عيب من شعره

وما نُسِبَ إليه

ذَكَرَ ابنُ النديم (ت. ٣٨٥هـ) أنَّ الأَصمعي عمل

ديوان المُتَلَمِّسِ<sup>(٦١)</sup>. بل نَصَّ أيضاً على أن نَمَّ غيره

رَوَى شعر المُتَلَمِّسِ<sup>(٦٢)</sup>. والطبعة المتداولة اليوم

بتحقيق حسن كامل الصيرفي، كُتِبَ على غلافها

تحت العنوان: (برواية الأثرم وأبي عبيدة عن

الأصمعي). ويبدو أن في العبارة خللاً، سببه خطأ

من الناسخ في مخطوط (أيا صوفيا: ٣٩٣١)، أما

العنوان الصحيح فهو مثبت على مخطوط المتحف

البريطاني (مخطوطات شرقية: ٧٧٨٣) ما نصه:

(رواية لأبي الحسن الأثرم، عن أبي عبيدة، وأبي

عمرو الشيباني، والأصمعي، وغيرهم)، لأنَّ أبا

عبيدة لم يرو عن الأصمعي، للخصومة التي كانت

بينهما، وهو من أقرانه<sup>(٦٣)</sup>، فالصواب أنَّ أبا الحسن

الأثرم (ت. ٢٣٢هـ) روى ديوان المُتَلَمِّسِ عن أبي

عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهما.

ثم لم يكتفِ الأثرم بالرواية، بل عمل على شرح

الديوان، ونقل ما قاله الشراح قبله. وهذه النسخة

من الديوان برواية الأثرم وشرحه هي النسخة

التي وصلت إلينا وحققتها الصيرفي عن ست نسخ

مخطوطة، كلها ترجع إلى نسخة (أم) واحدة

نُسخت في القرن السادس الهجري، وطبعت في

القاهرة، نشرها معهد المخطوطات العربية سنة

(١٩٧٠م). وبلغ عدد أبيات الديوان (١٦٩) بيتاً،

في (١٧) قصيدة. ثم ألحق بها المحقق (٦٢) بيتاً

منسوبة إلى المُتَلَمِّسِ في مصادر مختلفة، هي أما

منحولة، أو هي لغيره ونُسبت إليه خطأ.

ومن بين المنسوب إليه خطأ بيت شعر مشهور

يُروى في سياق قصة (استنوق الجمل)، فقد قال

ابن قتيبة: «ومما يُعاب من شعره قوله:

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ

بِنَاجِ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ

والصيعرية سمة للنوق لا للفحول، فجعلها

لفحل. وَسَمِعَهُ طَرْفَةً وهو صَبِيٌّ ينشد هذا، فقال:

(٦٣) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: الشعر إلى

حوالي سنة ٤٣٠هـ، تعريب محمود فهمي حجازي،

مراجعة عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، فهرسة

عبد الفتاح الحلو، ج ٢ (الرياض: جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية، ١٩٩١)، ص ١١٧.

(٦٠) الأصفهاني، ص ٢٥٥-٢٥٧.

(٦١) محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، تحقيق أيمن

فؤاد سيد، ط ٢، ج ١ (لندن: مؤسسة الفرقان،

٢٠١٤)، ص ١٧٨.

(٦٢) المصدر السابق.

استنوق الجمل! فضحك الناس وسارت مثلاً»<sup>(٦٤)</sup>.  
هكذا نسب ابن قتيبة البيت إلى المتلمّس،  
بينما يرجّح المفضل الضبي (ت. بعد ١٦٨هـ)،  
والمرزباني (ت. ٣٨٤هـ)، والبكري (ت. ٤٨٧هـ)،  
أنه للمسيب بن علس الضُّبَعِيِّ<sup>(٦٥)</sup>، وهو من قصيدته  
التي أولها<sup>(٦٦)</sup>:

أَلَا انْعَمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الرَّبِيعُ وَأَسْلَمَ

تَحِيَّةَ مَحْزُونٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ

وكذلك وجّه الجاحظ (ت. ٢٥٥هـ) إلى بعض  
شعر المتلمّس نقدًا فقال<sup>(٦٧)</sup>: لقد أسرف المتلمّس  
حيث يقول:

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا

تَرَائِلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا

ومثله ابن قتيبة عاب قول المتلمّس هذا وقال:  
«هذا من الكذب والإفراط»<sup>(٦٨)</sup>.

وقد سبق بيان صحة نسبة هذا البيت إلى  
المتلمّس، وهو من قصيدته الميمية المشهورة. لكن  
ما موقف النقاد الآخرين مما عابه الجاحظ وابن  
قتيبة وغيرهما؟ يجيب عبد القادر البغدادي بأنّ  
هذا من معهود أمثلة العرب في البُغْضِ وبيان  
شدة العداوة، فإنّ شاعرهم يقول: (جرى الدميان  
بالخبر اليقين): «أراد بالخبر اليقين ما اشتهر عند

(٦٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٨٠-١٨١.

(٦٥) المفضل الضبي، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس،  
ط ٢ (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣)، ص ١٧٤؛  
المرزباني، ص ٩٣؛ أبو عبيد البكري، فصل المقال في  
شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عباس (بيروت:  
مؤسسة الرسالة، ١٩٧١)، ص ١٩١.

(٦٦) ديوان المسيب بن علس، جمع وتحقيق ودراسة  
عبد الرحمن محمد الوصيقي (القاهرة: مكتبة الآداب،  
٢٠٠٣)، ص ١٢٧.

(٦٧) الجاحظ، ص ٤١.

(٦٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٨١.

العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين. وهذا تلميح  
في غاية الحسن أي: لما امتزجا وعرف ما بيننا من  
العداوة. قال ابن الأعرابي: معناه لم يختلط دمي  
ودمه من بغضي له وبغضه لي بل يجري دمي يمنة  
ودمه يسرة. ويوضحه قول المتلمّس [السابق...]  
ومنه قول العامة: لو خلط دمي بدمه لما اختلط،  
أي: لباينه من شدة العداوة ولم يمازجه»<sup>(٦٩)</sup>.

بل إنّ قول المتلمّس هذا، عند طائفة من النقاد،  
هو أشهر مثال قيل في البُغْضِ؛ قال أبو علي  
الحاتمي: «أشرد مثل قيل في البغض قول المتلمّس:  
(أحارث إنّنا لو تُسَاطُ دِمَاؤُنَا...)»، وقال أبو عبيدة:  
«إنه أسير مثل في البغض»<sup>(٧٠)</sup>. ثم إنّ الشعر لا  
يُحَاكَمُ بصدق الواقع الملموس، وإلا ما جاز لشاعر  
أن يحاور جمادًا أو دابةً، أو أن يقول شيئاً من  
الخيالات التي تكثر في الشعر وينماز بها<sup>(٧١)</sup>.

### المطلب الثالث: الأغراض الشعرية عند

#### المتلمّس الضُّبَعِيِّ

تعددت أغراض الشعر عند المتلمّس على قلة ما  
وصل إلينا من شعره، ولكن أهم أغراضه كانت:  
الفخر والهجاء والحكمة والثناء.

#### الفخر: يَرِدُ في شعره فخرٌ قبليٌّ وشخصيٌّ،

ينهض على تعداد الخصال الحربية والنجدة وحفظ  
العرض؛ وقد حُفِظت له نصوصٌ صريحة في هذا  
الباب، منها مقطعات تُبرز اعتزازه بنفسه وقومه  
وازدرائه اللائمين، وهي في جملة ما أثبتته له الرواة  
في مصادر الاختيارات والكتب الجامعة. وأوضح

(٦٩) البغدادي، ص ٤٨٧.

(٧٠) الأصفهاني، ص ٢٥٥.

(٧١) يُنظر: عادل الفريجات، ص ١٦٧.

مثال على ذلك قصيدته الميمية التي افتتحها بالفخر بأمه ونسبه، والقصيدة الأولى في ديوانه.

**الهجاء:** وُجد له هجاءٌ صريحٌ يواجه به خصومَه أو مَنْ خشي بأسه، وأبرز مثال على ذلك قصيدته في هجاء الملك عمرو بن هند، وفيها نَفَسُ جاهليُّ جَزَلٌ ونبرة تحذير وتوعّد؛ وقد حفظتها المصادر، وهي القصيدة السادسة في ديوانه، وهي من أشهر قصائده لارتباطها الوثيق بحادثة نجاته من غدر ملك الحيرة، ويلمسُ القارئ فيها تدرّجَ الشاعر من **النسيبِ والحنينِ إلى وصفِ الناقَةِ** ثم إلى ذكر **حادثةِ الصحيفة**، ثم إلى هجاء عمرو بن هند بأقذع الهجاء، ثم إلى تحريض قومه. فمن جملة هجائه قوله فيها:

إِنَّ الْخِيَانَةَ وَالْمَغَالََةَ وَالْخَنَا

وَالْغَدْرَ أَثْرَكُهُ بِبِلْدَةِ مُفْسِدِ

مَلِكُ يَلَاعِبُ أُمَّهُ وَقَطِينُهَا

رِخْوُ الْمَفَاصِلِ أَيْرُهُ كَالْمَرْوَدِ

**الحكمة:** يغلب على شعره طابعُ الحكمة، وأبرز مثال على ذلك قصيدته الأولى في ديوانه، وهي الميمية التي استخرج منها أبو عبيدة مجموعة من الحكم الشاردة والأمثال السائرة - فيما تقدّم -.

**الرثاء:** للمتلّمس قصيدة في رثاء نفسه وسرد وصيته، على عادة بعض الشعراء في رثاء أنفسهم، وهي القصيدة الأخيرة في ديوانه، مطلعها:

خَلِيلِيَّ إِذَا مِتُّ يَوْمًا وَرُخِزِحَتْ

مَنَايَاكُمَا فِيمَا يُرْخِزِحُهُ الدَّهْرُ

فَمُرًّا عَلَى قَبْرِي فَقُومًا فَسَلِّمَا

وَقَوْلًا سَقَاكَ الْعَيْثُ وَالْقَطْرُ يَا قَبْرُ

### الخاتمة:

خَلَصَ هذا البحثُ، بعدَ استقصاء مادّته التاريخية والأدبيّة، وموازنة رواياته، وتحليل نصوصه، إلى جملةٍ من النتائج التي تُسهم في إعادة تقويم صورة الشاعر الجاهليّ: المتلمّس الضُّبَعِيّ، وتحديد موقعه في خارطة الشعر الجاهليّ والأخبار العربيّة.

أولاً: تَبَيَّنَ أَنَّ شخصيّة المتلمّس الضُّبَعِيّ شخصيّة تاريخيّة ثابتة، أثبتتها مصادر الطبقات والأدب والأخبار بطرقٍ وأسانيدٍ لا غبار عليها، تقطع بدفع دعاوى الاختلاق أو الوهم التي ذهب إليها بعض الدارسين المُحدّثين، ولا سيّما حين تُقرأ الأخبار في مجموعها، لا مفردةً مبتورةً عن سياقها.

ثانياً: ثبت أنّ حادثة «صحيفة المتلمّس» قائمةٌ على أصلٍ تاريخيٍّ صحيح، وإن تباينت رواياتها في بعض التفاصيل الجزئية؛ إذ لا يقدر هذا الاختلاف في جوهر الواقعة ولا في بنيتها السردية العامّة، بل يُعدّ من طبيعة النقل الشفويّ في الأخبار الجاهليّة. وقد عزّز هذا الثبوتُ شيوعُ المثل العربيّ المستمدّ منها، وورود الإشارة إليها في سياقاتٍ تاريخيّة متقدّمة.

ثالثاً: أظهر البحث أنّ غلبة الخبر على الشعر في ترجمة المتلمّس لم تكن دليلَ ضعفٍ فنيّ، بل نتيجةً لطبيعة المدونة الشعرية المروية عنه، إذ إنّ ما ثبت من شعره يدلّ على جزالة لفظيّة، ومثانة أسلوبية، ونفيسٍ حكَميّ واضح، أهله لأنّ يُعدّ رأسَ المقلّين في طبقته، كما قرّر ذلك أئمة النقد من المتقدّمين.

رابعاً: تَبَيَّنَ أَنَّ ديوان المتلمّس لا يخلو من أبياتٍ منسوبةٍ إليه على جهة الوهم أو الخلط الروائي، وأنّ الحاجة ماسّة إلى التمييز بين الصحيح والمنحول،

اعتماداً على الرواية الموثوقة، والتحليل الأسلوبي، ومقارنة النصوص بمرويات أقرانه من شعراء ربيعة.

خامساً: دلت دراسة الأغراض الشعرية على أنّ المتلمّس كان أوضح حضوراً في الفخر والحكمة والهجاء، وأن هذه الأغراض اتصلت اتصالاً وثيقاً بتجربته الحياتية، ولا سيما علاقته ببلاط الحيرة، وما أعقب حادثة الصحيفة من تحوّل في مساره الجغرافي والسياسي.

وانطلاقاً من هذه النتائج، يوصي البحث بما يأتي:

١. ضرورة إعادة قراءة شعر المتلمّس وسائر شعر المقلّين قراءة نقدية منهجية، تُنقذهم من الأحكام الإجمالية التي غلبت الكمّ على القيمة الفنية.
  ٢. الدعوة إلى تحقيق جديد لديوان المتلمّس، يُراعى فيه الجمع الأوسع للمرويات، والمقابلة الدقيقة بين النسخ، مع الإفادة من المناهج الأسلوبية الحديثة دون الإخلال بروح النقد العربي القديم.
  ٣. تشجيع الدراسات التي تتناول أخبار الشعراء الجاهليين بوصفها نصوصاً ثقافية مركّبة، لا مجرد حكايات تاريخية، لما تنطوي عليه من دلالات اجتماعية وسياسية وأدبية.
  ٤. الحث على مزيد من البحث في الأمثال العربية المرتبطة بالشعراء، بوصفها شاهداً على ترسخ الخبر في الذاكرة الجمعية، وأداة لفهم تلقّي العرب تجاربهم التاريخية والأدبية.
- وبذلك يكون هذا البحث قد سعى إلى الإسهام في إضاءة جانب من جوانب التراث الجاهلي، عبر

قراءة علمية متوازنة تجمع بين التحقيق التاريخي والتحليل الفني، وتفتح آفاقاً لمزيد من الدراسات المتخصصة في هذا الحقل.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر

- الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، علي بن حجر. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).
- الأغاني، الأصفهاني، أبو الفرج. شرحه وكتب حواشيه علي مهنا وسمير جابر، ط ٢، ج ٢٤ (بيروت: دار الفكر، [د.ت.]).
- أمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤).
- أمثال العرب، الضبي، المفضل. تحقيق إحسان عباس، ط ٢ (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٣).
- البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، (بيروت: دار ومكتبة الهلال).
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مرتضى. تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ج ١٦ (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٥).
- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، (دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥).
- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون، محمد بن الحسن. (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨).
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، بن طرار، المعافي بن زكريا. تحقيق عبد الكريم سامي الجندي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥).
- جمهرة أشعار العرب، القرشي، أبو زيد. تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٨١).
- جمهرة الأمثال، العسكري، أبو هلال. تحقيق

- محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، (بيروت: دار الفكر/ دار الجيل، ١٩٨٨).
- **جمهرة النسب**، الكلبي، هشام بن محمد بن السائب. تحقيق علي عمر، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٠).
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، البغدادي، عبد القادر. تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ٤، ج ٦ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧).
- **الدلائل في غريب الحديث**، السرقسطي، قاسم بن ثابت. تحقيق محمد بن عبد الله القناص، (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١).
- **ديوان المسيب بن علس**، جمع وتحقيق ودراسة عبد الرحمن محمد الوصيفي (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٣).
- **ديوان شعر المُتَلَمَّس الضُّبَعِيِّ**، رواية أبي الحسن الأثرم، تحقيق حسن كامل الصيرفي، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٧٠).
- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم. تحقيق عبد السلام هارون، ط ٥ (القاهرة: دار المعارف، [د.ت.]).
- **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢).
- **طبقات النحويين واللغويين**، الزبيدي، أبو بكر. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤).
- **طبقات فحول الشعراء**، الجمحي، محمد بن سلّام. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني، ١٩٨٠).
- **غريب الحديث**، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تحقيق عبد الله الجبوري، (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٧).
- **الفاخر**، ابن سلمة، المفضل. تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة محمد علي النجار (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠).
- **فحولة الشعراء**، الأصمعي، عبد الملك بن قريب. تحقيق محمد عبد المنعم وطه الزيني (القاهرة: المطبعة المنيرية، ١٩٥٣).
- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، البكري، أبو عبيد. تحقيق إحسان عباس (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧١).
- **الفهرست**، النديم، محمد بن إسحاق. تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط ٢، (لندن: مؤسسة الفرقان، ٢٠١٤).
- **كنز الدرر وجامع الغرر**، ابن الدواداري، أبو بكر بن أيك. تحقيق إدوارد بدين (القاهرة: مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٩٤).
- **اللائي في شرح أمالي القاضي**، البكري، أبو عبيد. تحقيق عبد العزيز الميمني، ج ١ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦).
- **المجالسة وجواهر العلم**، الدينوري، أحمد بن مروان. تحقيق مشهور حسن سلمان، (البحرين: جمعية التربية الإسلامية؛ بيروت: دار ابن حزم،

- (١٩٩٨).
- مجمع الآداب في معجم الألقاب، ابن الفوطي، كمال الدين الشيباني. تحقيق محمد الكاظم، (إيران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٥).
  - مجمع الأمثال، الميداني، أحمد بن محمد. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، [د.ت.]).
  - المحبر، ابن حبيب، أبو جعفر محمد. رواية أبي سعيد السكري عنه، اعتنت بتصحيحه إيلزه ليحتن شتيتير (حيدر آباد/الهند: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤٢).
  - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، علي بن الحسين. تحقيق أسعد داغر، ج ٢ (قم/إيران: دار الهجرة، ١٩٨٩).
  - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، المرزباني، محمد بن عمران. تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥).
  - نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد، علي بن موسى المغربي. تحقيق نصرت عبد الرحمن (عمان: مكتبة الأقصى، ١٩٨٢).
- ثانياً: المراجع
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، كارل. تعريب عبد الحليم النجار، ج ١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١).
  - تاريخ التراث العربي: الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠هـ، سزكين، فؤاد. تعريب محمود فهمي
- حجازي، مراجعة عرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، فهرسة عبد الفتاح الحلو، ج ٢ (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩١).
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، البهيتي، نجيب. (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠).
- الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، الوادعي، مقبل بن هادي. ط ٤، (صنعاء: الآثار، ٢٠١٣).
- شعراء النصرانية، اليسوعي، لويس شيخو. (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٦).
- في الأدب الجاهلي، حسين، طه. (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٢٧).
- قصيدة المثلّس الضبّعيّ تعيرني أمي رجال ولن ترى: قراءة في الإشكالات وترجيح الروايات، السعيد، عبد الرحمن بن ناصر. مجلة عالم الكتب، مج ٣٣، ع ٣-٤، (الرياض: ٢٠١٢).
- المثلّس الضبّعيّ، الفريجات، عادل. مجلة جذور، مج ١، ج ٢ (جدة: ١٩٩٩).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، علي، جواد. (عمان: دار الساقى، ٢٠٠١).
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، الحسيني، علي الرضا. (سورية: دار النوادر، ٢٠١٠).